جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي

السنة: الثانية ليسانس المادة: نقد أدبي حديث

التخصص: الدراسات اللغوية د. حمزة بوساحية

2025-2024

المحاضرة الرابعة: إرهاصات التجديد في النقد الحديث عند رمضان حمود

شهد النقد العربي تحولًا كبيرًا بعد مدرسة الإحياء، إذ ظهرت تيارات تسعى إلى التجديد في النظرية النقدية ومخالفة الأساليب التقليدية. وبين المحافظة والتجديد، اندلعت صراعات فكرية وأدبية، حيث مثل البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم أنصار مدرسة الإحياء، بينما وقف العقاد والمازني وشكري في صف المدرسة التجديد التي دعت إلى التحديث، والثورة على الأساليب القديمة التي وصفت بأنها جافة ومكررة. وقد تأثرت مرحلة التحديث بالمدرسة الرومانسية الغربية، التي ظهرت كحركة تجديدية تدعو إلى التحرر من القيود الكلاسيكية الغربية هي أيضا، مؤكدة على دور الذات والعاطفة والخيال في إثراء الإبداع الأدبي. لتساهم الرومانسية في صياغة رؤية جديدة للأدب العربي الحديث، مما جعلها من أبرز المراحل في تاريخ النقد العربي.

أولا– خصائص المدرسة الرومانسية

كانت المدرسة الرومانسية بمثابة انعكاس مباشر لتأثير الفكر الغربي، حيث ركزت على الذاتية والخيال والعاطفة، متمردة على القوالب الجاهزة في الأسلوب والمضمون التي تبنتها المدرسة الكلاسيكية. ومن أبرز خصائص المدرسة الرومانسية:

01– تمجيد الخيال والعواطف: اعتبرت الرومانسية أن الخيال هو المحرك الأساسي للإبداع الأدبي، وأن العاطفة تعبر عن عمق التجربة الإنسانية، مخالفةً بذلك المدرسة الكلاسيكية التي ركزت على العقل والمنطق.

02- **التلقائية والموهبة:** شددت على ضرورة أن يكون الإبداع الأدبي تلقائيًا ونابعًا من الموهبة الذاتية، مبتعدة عن التكلف والتقليد الذي ميز الأعمال الكلاسيكية.

03- **التجديد والابتكار**: ركزت الرومانسية على الابتكار في الأسلوب والألفاظ، مع الحرص على التعبير عن مشاعر وأفكار جديدة تتناسب مع حياة الفرد وتجاربه.

04- **الوحدة العضوية:** أكدت على تحقيق الانسجام بين الأفكار والعواطف والموسيقى، بحيث تكون جميع عناصر العمل الأدبي مترابطة في كيان واحد.

05- **الهروب إلى الطبيعة:** وجدت الرومانسية في الطبيعة ملاذًا من قيود المجتمع، فجعلت من جمال الطبيعة مصدر إلهام ووسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار.

06- **استخدام لغة الحياة اليومية:** سعت المدرسة الرومانسية إلى تبسيط اللغة الأدبية وجعلها أقرب إلى واقع الحياة اليومية، لتكون أكثر تعبيرًا عن الإنسان العادي.

07- **طلب الحرية والغنائية**

كانت الحرية من أبرز القيم التي دعت إليها المدرسة الرومانسية، سواء في الشكل أو المضمون. كما غلب الطابع الغنائي على أعمالها الأدبية، مما أكسبها عمقًا عاطفيًا خاصًا.

ثانيا- مظاهر التجديد عند رمضان حمود:

تأثر رمضان حمود في عصره بالحركة الرومانسية، وأسهم مع آخرين في تأسيس اتجاه جديد عُرف بالاتجاه الوجداني. ويعود هذا التأثير إلى عوامل متعددة، أبرزها التفاعل مع الفكر الرومانسي الأوروبي. يُعتبر رمضان حمود بمثابة النواة التي انطلق منها التيار الرومانسي في الجزائر والوطن العربي بشكل عام. فهو يُعدّ من أوائل الشعراء والنقاد الذين دعوا إلى تجديد شامل في القصيدة العربية، سواء على مستوى المفهوم أو الأوزان والقوافي أو التجربة الشعرية بحد ذاتها. وقد دعا إلى كسر القواعد التقليدية للشعر، بحيث يكون للشاعر الحرية المطلقة في التعبير عن وجدانه بصدق وإبداع فني. ومن خلال هذه العناصر يمكن تلمّس أبرز مظاهر التجديد التي سعى إليها، والتي سيتم توضيحها فيما يلي:

01- مفهومه للشعر:

عَرف مفهوم الشعر تحولاً جذرياً مع رؤية رمضان حمود التجديدية، حيث تجاوز المفهوم التقليدي الذي يُعرف الشعر على أنه "الكلام الموزون المقفى"، ليصبح تعبيراً داخلياً ينبع من أعماق الإنسان ويلازمه في جميع مراحل حياته. وقد عبّر رمضان حمود عن هذا التصور بقوله: "الشعر تيار كهربائي، مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن والقافية في ماهيته وغاية أمره".

وفقاً لهذا الطرح، يرى رمضان حمود أن جوهر الشعر الحقيقي يكمن في صدق التجربة الذاتية للشاعر وانبثاقه من أحاسيسه العميقة، حيث تكون الانفعالات والمشاعر النابعة من التجربة الصادقة هي المحرك الأساسي للإبداع الشعري، بعيداً عن قيود الشكل التقليدي من أوزان وقوافٍ.

02- الخيال أو الصورة الشعرية:

كان الخيال، بما يشمله من صور شعرية ومجازات، ضرورة جوهرية في بناء القصيدة العربية، حيث يهدف الشاعر من خلاله إلى التأثير على القارئ وإثارة مشاعر الدهشة والانفعال. لهذا السبب، أولى رمضان حمود اهتماماً كبيراً للصورة الشعرية والخيال، مشدداً على أهمية اختيار الشعراء للصور التي تنسجم مع مشاعرهم الحقيقية، بعيداً عن التكلف أو التصنع. فمن منظور رمضان حمود، ينبغي أن تكون الصورة الشعرية انعكاساً صادقاً لعاطفة الشاعر، وألا تتحول إلى مجرد قوالب يزين بها النص. فالصورة الشعرية والخيال عنده يتجسدان في الإبداع الذي ينطلق من عاطفة صادقة وتجربة إنسانية حقيقية، مما يضفي على النص الشعري عمقاً وإحساساً مؤثراً دون اللجوء إلى تصنع فني.

03- الأوزان والقوافي:

لم يقتصر التجديد عند رمضان حمود على مفهوم الشعر أو الصورة الشعرية والخيال فحسب، بل امتد ليشمل الأوزان والقوافي، حيث أحدث تحولاً شاملاً في شكل ومضمون القصيدة العربية. سعى رمضان حمود إلى تحطيم بنية القصيدة العمودية التقليدية وإعادة تشكيلها بما يتناسب مع متطلبات العصر وروح الحداثة. وقد حاول التخلص من قيود الوزن

والقافية التي اعتبرها عائقاً أمام حرية الشاعر وإبداعه. وقد وصف هذه القيود بقوله: "**تلك الأغلال الثقيلة القاسية التي أوقفته عن السير زمناً**"، مما يعكس رؤيته بأن الأوزان التقليدية كانت تحد من تنوع القصيدة وموسيقاها.

كانت قصيدة "يا قلبي" من أوائل القصائد التي جسدت هذا التوجه الجديد، حيث كسرت النمط التقليدي للقصيدة العمودية، متجاوزةً نظام الأبيات إلى شكل الأسطر الشعرية المعروف بالقصيدة الحرة. كما أدخل رمضان حمود تنوعاً في القوافي والموسيقى، سواء الداخلية أو الخارجية، ما أضفى على قصيدته مرونة إبداعية وانسجاماً مع تطلعاته التجديدية

خلاصة:

تجسد مشروع رمضان حمود التجديدي في الشعر والخيال والأوزان والقوافي رؤية نقدية متكاملة، عكست تأملاته العميقة وأفكاره التي استهدفت إحداث تحول جذري في الأدب العربي. جاءت محاولاته هذه كاستجابة واعية لمواجهة النزعة التقليدية والرد على من تمسكوا بها، حيث سعى إلى إعادة بناء أهم مرتكزات النقد والأدب العربي القديم، سواء على المستوى النظري أو التطبيقي.